رسالة إلى الجيش الباكستاني والمسلمين في باكستان

1429هـ – 2008/8 م

بسمِ اللهِ والحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وآلِه وصحبِه ومن والاه

إخواني وأخواتي المسلمين في باكستان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أتحدث إليكم اليوم عن الحالة البائسة التي تدهورت إليها باكستان.

وقد قررت أن أتحدث إليكم اليوم بالإنجليزية، وهو الأمر الذي لا أرغبه، ليس من نظرة قومية، فالله يعلم أننا من ألد أعداء القوميين وأشباههم، الذين يعتقدون في النظام الديمقراطي الغربي والنظام القضائي والتشريعي البريطاني، بدلاً من شريعة الله سبحانه وتعالى، والذين فرقوا الأمة الأمة المسلمة، وكانوا سبباً في بعض من أسوأ الكوارث التي واجهتها الأمة في تاريخها المعاصر.

ولكني لا أرغب في الحديث بالإنجليزية لعدة أسباب أخرى.

فقبل كل شيء فهي ليست لغة القرآن الكريم، التي يجب أن تكون لغة التواصل بين المسلمين. أو على الأقل فهي ليست واحدة من لغات المسلمين، التي يمكن أن تكون لغات تواصل بديلة.

وأرجو أن يعتنق الغربيون يوماً ما الإسلام، وتصير لغاتهم جزءً من عائلة لغات المسلمين، ولكن حتى يأتي ذلك اليوم فإن اللغة الإنجليزية هي لغة أعداء المسلمين، الذين احتلوا ديارهم، وزرعوا إسرائيل بالقوة وسطها، ونهبوا ثرواتهم، وعذبوهم وطردوهم وقتلوهم، وأعانوا وساندوا ودعموا الأنظمة الطاغية الفاسدة، التي تمتص دماءنا، وتستبدل بشريعتنا المنزلة قوانين البشر. إنها اللغة التي لم نخترها، ولك أكرهنا على استخدامها نظراً لضعفنا وتبعيتنا.

وثانياً فهي ليست لغتي الأم، التي أستطيع أن أعبر بها عن أفكاري بأفضل طريقة ممكنة، مع العلم بأن اللغة العربية هي واحدة من أكثر لغات الأرض ثراء وسعة وجمالاً.

ولكن لسوء الحظ فإن أغلبكم لا يفهم اللغة العربية، كما أني للأسف لا أستطيع التحدث بالأردو، تلك اللغة الخلابة، وإلا لما ترددت في الحديث بها.

ولهذا وبالرغم من كل ما ذكرت فقد قررت أن أتحدث إليكم اليوم بالإنجليزية، حتى أتمكن من التواصل معكم مباشرة، وألفت انتباهكم -بقدر ما أستطيع- للأخطار المهولة المحدقة التي تواجه باكستان.

ولذا فمن البداية فإني أعتذر لكم عن لغتي الإنجليزية الضعيفة، التي لا أحسنها إلا جزئياً.

الشيء الثاني الذي أود أن أعتذر لكم عنه، فهو أنه -بالنسبة لي ولجميع إخواني الذين عاشوا لفترة في باكستان- يصعب علي أن أكون غير مكترث أو محايداً فيما يتعلق بباكستان، لأن لنا ارتباط عاطفي ووجداني عميق بهذه الأرض وأهلها.

فكلنا تمتع بمشاعر الترحيب والرعاية الدافئة من معظم الباكستانيين، والتي كانت بادية بوضوح في الحملة الصليبية المعاصرة، التي شنت في باكستان بواسطة مشرف وكلاب صيده، تبعاً لأوامر أسيادهم في واشنطن.

أما بالنسبة لي شخصياً، فباكستان تعد حباً قديماً منذ طفولتي، لأن جدي العلامة عبد الوهاب عزام -رحمه الله- كان من أشد المعجبين بالعلامة إقبال رحمه. وكان أول من ترجم أشعاره للشعر العربي، ومن ضمن كتبه العديدة كتاب عن العلامة إقبال رحمه الله. وقد قرأت ذلك الكتاب وكثيراً من ترجماته العربية لبيغام مشرق وضرب الكليم وأرمغان حجاز ودواوينه الأخرى مبكراً في حياتي.

ولما شببت كانت باكستان بالنسبة لي وكذلك للملايين من المسلمين أملاً أو حلماً في إنشاء حكومة مسلمة قوية مستقلة بعد الحقبة الاستعمارية.

وقد لاقيت هذا الأمل وجهاً لوجه على أرض الواقع في صيف 1980، لما قدمت -لأول مرة- لباكستان لأعالج المهاجرين والمجاهدين الأفغان. ومنذ ذلك الوقت وحتى أرغمت على مغادرة باكستان -مع الآلاف من أنصار الجهاد إرضاء لمطامع الصليبيين الجدد الأمريكيين في أوائل التسعينيات- أقمت في باكستان ما لا يقل عن عن ست سنوات معظمها في بشاور، تلك المدينة الخلابة، التى لا زلت معجباً جداً بها، وفي ذلك الوقت كنت أعرف مداخلها ومخارجها كأي بشاوري أصيل.

وطوال تلك الفترة امتزجت -مثل الآلاف من إخواني- تماماً مع المجتمع الباكستاني. وقد سعدت في تلك الفترة بأصدقاء وإخوة باكستانيين أفاضل، أرجو أن يكونوا لا يزالون يذكرونني حتى اليوم.

وكما ذكرت من قبل فقد لامست في الواقع ما كنت أعتبره أملاً. وبالعيش في باكستان اكتسبت -بفضل الله- فرصة لتكوين فهم عميق لمساوئ ومحاسن باكستان المعقدة. بل لقد أصبحت قادراً على مقارنة الطاقات والعيوب المشتركة لعديد من المجتمعات المسلمة المختلفة.

وبعد كل هذه السنين والخبرات ما زلت أعتبر باكستان أملاً وحصناً لإنشاء بلد مسلم قوي مستقل، ليس فقط في مرحلة ما بعد الاستعمار، ولكن أيضاً في وجه الحملة الصهيوصليبية المعاصرة. وهذا الأمل ليس مبنياً على ما يدعى (نظرية باكستان)، التي تلاشت الآن، خاصة بعد مشاركة جيش وأجهزة أمن باكستان في الحرب الأمريكية ضد الإسلام وبعد مذبحة المسجد الأحمر، ولكنه مبني على اعتقادي بأن في باكستان ملايين المسلمين المستعدين للتضحية بكل ما يمكن أن يضحوا به من أجل انتصار الإسلام.

ولما كنت أعيش في باكستان كان صعباً علي أن أتخيل أننا في يوم ما سيلقى بنا خارج باكستان، أو أن محرري أفغانستان والمدافعين عن باكستان سيتحولون بين عشية وضحاها لما يسمى بالإرهابيين، ويطاردون في كل رقعة وبقعة من البلاد. ولا زالت تقع حتى اليوم بعد بوابة طورخم الحدودية مقبرة صامتة، تضم رفات ما يقرب من مائتي مجاهد عربي، تقف كشاهد مادي حي، على كيف خان حكام ما تسمى بدولة باكستان الإسلامية إخوانهم المسلمين، الذين لم يسببوا أي أذى لباكستان، ولم يقترفوا أي ذنب، سوى أنهم ضحوا بأرواحهم في سبيل الله، ليحرروا أفغانستان، ويحموا حدود باكستان.

ثم علمتني الحياة بعد ذلك أن أكون أكثر واقعية، فقد واجهت الواقع الأليم بأن أولئك الحكام الجشعون ليسوا فقط مستعدين لأن يخونوا إخوانهم المسلمين، ويرحلوهم من باكستان، ولكنهم أيضاً مستعدون لأن يقتلوا ويعتقلوا جيرانهم المسلمين الأبرياء المتعاونين، ولأن يعينوا ويدعموا الصليبيين الجدد في احتلال أراضيهم وقصف وإحراق قراهم، وخلع حكومتهم الإسلامية النزيهة، وأن يستبدلوا بها نظاما فاسدا عميلا معاديا لباكستان من العملاء وتجار المختارات، الذين يوالي الكثير منهم روسيا والهند. وليس ذلك فقط بل هم أيضاً مستعدون لأن يقتلوا مواطنيهم ويحطموا منازلهم على رؤوس نسائهم وأطفالهم. بل هم حتى مستعدون لأن

يحطموا المساجد والمدارس، ويقتلوا آلاف الطلبة والطالبات الأبرياء ليرضوا ويداهنوا أسيادهم الدافعين لهم؛ الصليبيين الجدد في البيت الأبيض.

هذه العصابة الجشعة تعبد رواتبها ومنافعها ورشاواها. ولو دفعت لهم ما يكفي فهم على استعداد لأن يقوموا بأي ما تريدهم أن يقوموا به، أياً كانت قذارته، وليس في الظلام ولا خلف الأستار، بل في وضح النهار، وبالزي الرسمي، وتحت شعار (إيمان- تقوى- جهاد في سبيل الله).

ولذا فإن رسالتي اليوم لكل باكستاني مسلم مخلص في حبه للإسلام ولنبيه أن يرتفع لمستوى مسؤوليته الدينية والأخلاقية، وأن يسأل نفسه عدة أسئلة دقيقة محددة.

1- هل الجيش الباكستاني يدافع عن المسلمين؟ أم أنه مجرد وكالة خدمات أمنية أو عصابة من المرتزقة، تقتل المسلمين لترضي الدافعين لها؛ الصليبيين الجدد في البيت الأبيض؟ وكيف هي صورته الحقيقية في عقول الأمريكان؟

2- هل أي باكستاني يخدم في ذلك الجيش، أو يشارك حكومته في الحملة الصليبية المعاصرة -التي يدعونها الحرب على الإرهاب- مسلم مخلص أو عدو للإسلام؟ ينتهك المبادئ الأساسية للقرآن والسنة؟

3- هل أي شيء باسم نظرية باكستان لا زال موجوداً؟ أو أنها قد غرقت في الدم البريء الذي سفك باسم الحرب على الإرهاب، أو ربما قد انسحقت تحت أنقاض المسجد الأحمر؟

فيما يتعلق بالسؤال الأول؛ فإنه من الواضح أن الواجب الأول للجيش الباكستاني لسنين هو أن يشارك -مباشرة وغير مباشرة- في قتل المسلمين من كابل حتى إسلام آباد. لقد تحول -بأوامر قياداته الجشعة- بدلاً من أن يكون مدافعاً عن الأمة إلى جيش يشكل -في الحقيقة- أشد الأخطار على حرمة وأمن وممتلكات المسلمين في جنوب آسيا والشرق الأوسط، بل وحتى يهدد أساس وجود باكستان.

قارن فقط بين ممارسات جيش باكستان وشعاره المشهور (إيمان- تقوى- جهاد في سبيل الله)، لتكتشف إن كتابة ذلك الشعار على مباني الجيش ليس إلا مجرد فكاهة سخيفة.

دعوني أيها الإخوة والأخوات أذكركم ببعض أمثلة من الجرائم المقترفة بواسطة مشرف وعصابته الباحثة عن الرشوة ضد المسلمين داخل وخارج باكستان.

1- لقد شكل برويز واحداً من أكبر أعداء الإسلام في باكستان، إن لم يكن أكبرهم.

أ- لقد أعلن في أول تصريح له بعد تبوئه الرئاسة، وهو يحتضن كلبيه، أن مثله الأعلى هو أتاتورك، الذي قضى على الخلافة، وقتل العلماء، وحظر الحجاب، وفرض العلمانية بالقوة على تركيا.

ب- وطبقاً لأوامر الصليبيين الجدد قدم مشرف كل الدعم اللازم لتنحية الإمارة الإسلامية في كابل. وبهذا فإن حكومة باكستان قد قتلت الأمل، الذي قاتلت الأمة المسلمة الأفغانية عشرين عاماً لتصل له، والذي من أجله ضحى ملايين المسلمين العاديين وآلاف المجاهدين بأرواحهم؛ دولة إسلامية في أفغانستان. وبهذا حققت الهدف القديم لأمريكا والغرب، الذي سعوا في الوصول له بكل طاقتهم بعد الهزيمة الروسية؛ أن يشكلوا حكومة موسعة، تضم العلمانيين والمرتدين والشيوعيين وأمراء الحرب وعملاء الغرب. لقد كان هذا هدفاً فشلوا بأنفسهم في الوصول له، ولكن الحكومة الباكستانية أستطاعت أن تحققه لهم.

ج- سعى برويز بكل جهده ليضع ما يستطيع من عراقيل في طريق المدارس الإسلامية في باكستان.

د- واخترع ديناً جديداً بلا جهاد ولا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ولا التزام بأحكام الشريعة، دين وصفه بالمعاصرة المستنيرة، مقدماً بذلك قاديانية جديدة أمريكية التمويل، ليحيي القديمة بريطانية التمويل.

قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ويقول العلامة إقبال رحمه الله:

چا ہے تو کرے کعبہ کو آتش کده فارس

يريدون أن يجعلوا الكعبة بيت نار فارس

چا ہے تو کرے اس میں فرنگی صنم آباد

يريدون أن يجعلوها بيت أصنام الإفرنج

قرآن بازيچہ تآويل بناكر

يجعلون القرآن لعبة التأويل

چا ہے تو خودایک تازه شریعت کرے ایجاد

يريدون إيجاد شريعة جديدة

2- دمر برويز أسس وجود باكستان، وهشم (نظرية باكستان)، حين التحق بالحرب على الإرهاب، التي هاجم فيها شعبه المسلم وجيرانهم وأنصارهم، ولما قتَّل الطلاب في المسجد الأحمر بتحطيمه فوق رؤوسهم. وعلينا ألا ننسى أن تقسيم باكستان هو هدف أمريكي هندي دائم، وقد ساعدت قيادة الجيش الباكستاني بقوة في بلوغ هذا الهدف بشنها العمليات العسكرية ضد الشعب الباكستاني.

أما فيما يخص المسجد الأحمر فماذا كشف تدميره ومذبحته؟

لقد كشف عن الفساد المستشري في داخل العسكر والموظفين والساسة الباكستانيين.

إنها كانت ولا زالت جرحاً نازفاً في ضمير كل مسلم حر مخلص. وتحت أنقاض المسجد الأحمر دفنت نظرية باكستان، وفقد الهدف من إنشائها، وفوق أجساد هؤلاء الشهداء ارتفعت عالياً الرايات الأمريكية والصهيونية والهندية.

لقد كشفت الاعتداءات على المسجد الأحمر والمناطق القبلية الوجه القبيح المعادي للإسلام للقيادة العسكرية الباكستانية.

ولقد نجحت جزئياً في المناطق القبلية في ستر الجرائم الحقيقية، ولكن في المسجد الأحمر فإن دخان القنابل الممتزج برائحة لحم الطلاب المتفحم قد انتشر في كل أرجاء باكستان، وتمت المذبحة بتغطية من الصحافة المحلية والأجنبية.

لقد كشفت مذبحة المسجد الأحمر عن البشاعة والنفاق المزدوج المعايير للحضارة الغربية، فلو أن كنيسة واحدة هوجمت، أو لو أن أمريكياً أو بريطانياً قتل، لاندلعت موجة سخط، قد تنتهي بعقوبات من مجلس الأمن، ولكن لما اقتحم المسجد الأحمر، وقتل من بداخله، وأخفي عدد الضحايا الحقيقي بل وحتى مقابرهم، فإن هذا ليس سوى عملية أمنية لتهدئة بعض المتعصبين.

إن مذبحة المسجد الأحمر بأيدي الرنجرز ونخبة الكوماندوز والجيش العادي وعملاء الآي إس آي والمخابرات الحربية عار على كل ضابط وجندي في باكستان، وهي تثير سؤالاً خطيراً جداً؛ هل الجيش الباكستاني يدافع عن الإسلام في باكستان وجنوب آسيا؟ أم يهاجمه لمصلحة أعداء الإسلام؟ هل هو يمثل درع المسلمين في باكستان؟ أو هو الوريث المجرم للجيش البريطاني في الهند؟

3- برويز يهدد بشدة الأمن القومي الباكستاني.

أ- برويز هو الذي دعم الأمريكان كاملاً لخلع الإمارة الإسلامية من كابل وليستبدل بها نظاماً موالياً للهند ومعادياً لباكستان.

ب- ونتيجة لذلك تسللت المخابرات الهندية للحدود الأفغانية الباكستانية، وافتتحت قنصلياتها في المدن المتاخمة لباكستان.

ج- وبترك الإمارة الإسلامية لكابل خسر الجيش الباكستاني مرتين:

أولاً: فقد عمقه التعبوي، الذي تستطيع أفغانستان توفيره بمناطقها المرتفعة وجبالها خلال أي مواجهة مع الهند.

ثانياً: انكشف ظهر الجيش الباكستاني لنظام معاد موال لأعدائه.

فإذا أضفت لهذا نجاح الهند في استخدام القواعد الجوية في طاجيكستان، ومساعيها لتطوير التعاون العسكري مع دول وسط آسيا، لاتضح أي ورطة استراتيجية يواجهها الجيش الباكستاني.

د- برويز هو الذي سمح بوقوع البرنامج النووي الباكستاني في مأزق، بتركه ليسقط تحت المراقبة الأمريكي، وبذا تصبح أسرار باكستان القومية متوفرة للمخابرات اليهودية والهندية.

واستخدمت الاتهامات الأمريكية لعبد القدير خان كذريعة لتبرير ذلك.

هل من المنطقي أن عبد القدير خان كان خارج الرقابة الاستخباراتية الباكستانية؟

وسواء كان هذا هو الواقع أم لا، فإن أول من يجب أن يحاكموا في قضية عبد القدير خان هم القيادات العليا في الجيش والمخابرات الباكستانية، وعلى رأسهم برويز .

ولكن عبد القدير خان استخدم ككبش فداء لاسترضاء الأمريكان.

هـ-برويز هو الذي أشعل الحرب الأهلية في باكستان بالانخراط في صراع دموي عقيم في المناطق

القبلية في طاعة عمياء للأوامر الأمريكية، مما تسبب في أضرار كارثية على أمن باكستان القومي.

وأسوأ موقف يتخيله أي جيش، أن يكون مسؤولاً عن حماية حدوده، بينما هو متورط في صراع أهلي داخلي.

ولم تنس الذاكرة الجمعية الباكستانية بعد العواقب الرهيبة للحرب الأهلية في باكستان الشرقية.

وكل ما فعله برويز وألويته في وزيرستان وباجور وسوات وبلوشستان سيكرره في كراتشي ولاهور وبشاور وفي أي مكان يأمره الأمريكان بضربه.

و- وبرويز هو الذي سعى لتغيير العقيدة القتالية للقوات المسلحة الباكستانية، بتأكيده المتكرر أن الخطر الحقيقي على باكستان يقع في داخلها وليس من خارجها. أي أنه يحرض القوات المسلحة الباكستانية لتركز على قتال شعبها، وتتجاهل التهديد الهندي.

ولو فسدت العقيدة القتالية لأي جيش، وأصبح قتاله فقط من أجل المنصب والراتب، فإن هذا الجيش سيفر حتماً من الميدان عند أية مواجهة حقيقية.

كيف يمكن للضابط أو الجندي الباكستاني أن يقتنع بأنه يحمي الإسلام؟ بينما هو الذي مكن الأمريكان من قتل عشرات الآلاف من المسلمين في أفغانستان، وأعانهم على إزاحة الإمارة الإسلامية من كابل.

كيف يمكن للضابط أو الجندي الباكستاني أن يقتنع بأنه يحمي كرامة الشعب الباكستاني؟ بينما هو يؤمر من رؤسائه بقتل النساء والأطفال في داخل بلده.

كيف يمكن للضابط أو الجندي الباكستاني أن يقتنع أنه يحمي عزة وشرف باكستان؟ بينما هو يتلقى الأوامر من قادته بشن مذبحة جديدة مع كل زيارة لمسؤول أمريكي رفيع.

ولهذا فإن برويز قد وجه ضربات قاسية لمعنويات الجيش الباكستاني مرتين؛ مرة لما أمره أن يشن حرباً لا أخلاقية ضد الإسلام كمرتزقة تحت العلم الأمريكي ضد شعبه، ومرة أخرى لما عرض الجيش لهزائم مذلة متكررة على أيدي مقاتلي القبائل الشجعان المدافعين عن الإسلام.

4- برويز يسعى لبيع عن كشمير بأي ثمن.

أ- فقد صرح في مارس 2004 أنه يريد إدارة حوار وطني حول حلول لكشمير، يتضمن استقلالاً ذاتياً أو إدارة مشتركة أو إشراف الأمم المتحدة.

ب- وهو الذي خنق المقاومة الجهادية ضد الهند.

ج- وهو الذي قدم، ولا زال يقدم التنازلات المتكررة في قضية كشمير، بينما الهند لم تتزحزح قيد أنملة من موقفها المتعنت.

د- وهو الذي يحاول أن يخدع الأمة المسلمة في باكستان بأن يدعي كذباً بأن المشكلة مع الهند ستحل بإجراءات بناء الثقة، في محاولة لإنهاء الكفاح لتحرير كشمير، التي تعد المشكلة الحقيقية بين الهند وباكستان.

هـ- وهو الذي يستهدف المجاهدين العرب وإخوانهم من سائر العالم الإسلامي، الذين يعدون أحد أهم القوى لتحرير كشمير، كما ساهموا من قبل بدور فعال في تحرير أفغانستان.

وأنا أود أن أؤكد هنا الحقيقة الحيوية، أن الجهاد لتحرير كشمير لا بد أن يتحرر أولاً من الآي إس آي، لأن الحكومات الفاسدة تفسد الجهاد، وهذه الحكومات ترضخ لرغبات القوى الكبرى، ولن ينجح أي جهاد إلا إذا تحرر من رغبات أعداء الإسلام.

5- وبرويز قد اعترف فعلياً بإسرائيل، في محاولة ليهيئ العقلية الباكستانية للأعتراف بدولة غير مسلمة في كشمير.

6- وبرويز قد أهان وحط من السيادة الباكستانية لما سمح للسي آي إيه والإف بي آي أن يعملا بحرية في باكستان، ليقبضوا ويحققوا ويعذبوا ويرحلوا ويعتقلوا أي شخص سواء كان باكستانياً أم لا للمدة التي يشاءانها، وبهذا حول الجيش والمخابرات الباكستانية لكلاب صيد في الحملة الصليبية المعاصرة. وليس سراً أن الأمريكان يديرون بأنفسهم عديداً من مراكز الاعتقال الشبيهة بجوانتامو على أرض باكستان.

7- وبرويز وعصابته الجشعة أفسدوا الحياة السياسية في باكستان، ولقد ارتكب كل الجرائم، التي زعم أنه استولى على السلطة لينقذ باكستان من شرورها. ولو قرأت مذكراته، فلن تجد جرماً واحداً اتهم به بينظير أو نواز، ولم يرتكبه هو بعد ذلك.

ولأن برويز متعطش للمال وباحث عن الرشوة، فإنه يحاول أن يقنع شعب باكستان بأن يبحث فقط عن مصلحته بغض النظر عن أي اعتبار إسلامي أو أخلاقي. وهذا بالضبط هو منطق تجار المخدرات وعصابات الرقيق الأبيض والجواسيس والخونة.

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

والآن فقد تولى برويز آخر -وهو برويز إشفاق كياني- نفس الواجبات التي اعتاد برويز السابق أن يقوم بها من أجل الولايات المتحدة، وبالتالي فإننا نعتبره مثله خصماً معادياً للإسلام.

وفي كل الأمثلة السابقة سوف نكون من الحمقى إذا لم نلحظ العامل الأمريكي في سياسة باكستان، التي تحكم فعلياً من السفارة الأمريكية.

والآن وبعد كل تلك الخدمات التي قدمها مشرف وعصابته الجشعة للأمريكان، دعونا نلقي نظرة عن كيف ينظر الأمريكان للجيش وأجهزة الأمن الباكستانية. دعوني أذكركم إخواني وأخواتي بالكاريكاتير الذي نشر في الصحافة الأمريكية بعد القبض على الأخ أبي الفرج الليبي فك الله أسره عاجلاً، وهو يظهر جندياً أمريكياً، يربت عل كلب صيد، ويسأله أن يحضر أسامة بن لادن حفظه الله. الرجل الأمريكي قد يحب كلبه، ويلاعبه، ويطعمه، ويبتسم له وربما يقبله، ولكنه يبقى –بعد كل هذا- كلباً. دعوني إخواني وأخواتي أذكركم بأن قائد الجيش الحالي -برويز إشفاق كياني- كان الصائد الرئيس لأبي الفرج فك الله أسره عاجلاً

ذلك هو الإدراك النفسي الأمريكي للجيش وأجهزة الأمن الباكستانية برغم كل الابتسامات والمجاملات.

وبالمقابل فإن لدينا دليلاً قوياً على الانحياز الأمريكي للهند في تعاونهم المتقدم مع الهند خاصة في مجالات الذرة والتقنية المتقدمة بالإضافة للتدريب العسكري.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾.

وفيما يتعلق بالسؤال الثاني؛ هل الباكستاني الذي يخدم في ذلك الجيش، أو يشارك حكومته في الحملة الصليبية المعاصرة -التي يسمونها الحرب على الإرهاب- مسلم مخلص حقاً؟ أم عدو للإسلام يخالف المبادئ الأساسية للقرآن والسنة؟

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- معلقاً على هذه الآية:

"ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم. يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه."

وقال الإمام الجصاص الحنفي -رحمه الله- معلقاً على نفس الآية:

أن الخطاب هنا إما أن يكون موجهاً لكفار العرب أو للمسلمين، ففي الحالة الثانية "فَهُوَ إخْبَارٌ بِأَنَّهُ كَافِرٌ مِثْلُهُمْ بِمُوَالَاتِهِ إيَّاهُمْ."

ولهذا فإني أحذر كل ضابط وجندي في الجيش وقوات الأمن الباكستانية من العواقب الوخيمة، التي أعدها الله سبحانه لأولئك الذين يعينون الكفار ضد المسلمين.

وعلى كل منهم -وخاصة من الرتب الصغرى- أن يعلم أن برويز يلقي بهم في أتون الحرب الأهلية بلا مبالاة. وأنه مستعد أن يضحي بالآلاف من الرتب الصغرى حتى يضمن التدفق المستمر للرشاوى الأمريكية.

وإني أطالب كل مسلم في باكستان أن يتذكر التاريخ المجيد لعلمائه العظام، الذين قاوموا ببسالة أي تعاون أو دعم للجيش البريطاني في الهند. قال شيخ الهند مولانا محمود الحسن -رحمه الله- في فتواه لطلاب جامعة عليكره الإسلامية:

(ليس لكم إلا أن تتركوا معاونة وموالاة أعداء الإسلام عملاً واعتقاداً، وهذه المسألة مستندها الشرعي غير قابل للإنكار).

وكتب في خطابه لجلسة جمعية العلماء في أمرتسر:

"أشد الأعداء للإسلام والمسلمين هم الإنجليز، ولذا فإن ترك موالاتهم فرض."

أما تلميذه سيد حسين أحمد مدني -رحمه الله- فقد وقف في المحكمة ليقول:

(إن الدخول في جيش الإنجليز، وإدخال الغير والإشارة عليه بالدخول فيه، وإعانة جيش الإنجليز وإقراضه للحرب كله حرام).

وقال أيضاً:

(إن مستر لويد جورج عند غزو بيت المقدس سمى هذه الحرب بالحرب الصليبية وكذلك سماها مستر تشرشل بالحرب الصليبية.

ولذلك فإني أقول الآن بوضوح وجلاء: إن المسلم الذي يوالي النصرانية ليس آثما فقط بل يصير كافراً).

وقرر أيضاً:

(النوع الثاني من قتل المسلم، حينما يعتبر شخص أن قتل المسلمين حلال، ولا يشعر بالأسف من هذا العمل. مثلاً لو كان هناك جيش مسلم يقول: "إن القتال عملنا، فحتى لو واجهنا المسلمون فسنقاتلهم". وكأن إشهار السيف في وجه المسلم ليس ذنباً. أو يقولون: "إن سادتنا يأمروننا أن نقاتل المسلمين، ونحن نعيش على مالهم". وكأنه ليس هناك بأس في إطاعة أوامر شخص لقتل المسلمين، طالما أنه يطعمك.... ولهذا فإن إجماع الأمة -في هذه الحالة- أن هذا الشخص المرتكب لهذا الفعل كافر، وقد ارتكب نوع الكفر الذي يخرجه من الملة. وحكمه -طبقاً لشريعة الله- مثل حكم الكفار والمشركين، سواء في هذه الدنيا أو في الآخرة. ولا يجوز لأي مسلم أن يعتبر هذا الشخص مسلماً، أو يستحق أن يعامل كما يعامل بقية المسلمين....

والنوع الثالث من قتل المسلم؛ حينما يقاتل مسلم إلى جانب الكفار ضد المسلمين الآخرين، أو يعينهم في الحرب لكي يفوز الكفار وينتصروا، وإذا قامت الحرب بين المسلمين وغير المسلمين فإنه يقف إلى جانب الكفار. هذا النوع من الجرم يتضمن أبشع أنواع الكفر والفسوق، ويمثل حالة بالغة من موت إيمان الإنسان، واندثار إسلامه، لدرجة لا يمكن أن تتصور في أسوأ أنواع الكفر والردة. كل الذنوب والآثام والدنس في الدنيا، وكل أنواع العصيان الذي يمكن أن يقترفها المسلم في الدنيا، أو يتخيل أن يقترفها تعد لا شيء إذا قورنت بتلك الجريمة. وكل مسلم يقترف تلك الجريمة يعد حتماً كافراً، وهو أسوأ أنواع الكفار. إنه لم يقترف فقط جريمة قتل المسلم، ولكنه أيضاً أعان وقوى أعداء الحق في قتالهم ضد الإسلام. وليس هناك شك أن هذا ضرب جلي وواضح من الكفر، الذي يخرج الإنسان من دائرة الإسلام. وإذا كان الإسلام لا يسمح -في هذه الحالة- بإقامة مجرد علاقة من الحب والمودة مع غير المسلمين، فكيف يبقى إيمان شخص سليماً، بعد أن يقدم الدعم الظاهر للكفار في حربهم ضد الإسلام، وبعد أن يوجه سلاحه إلى المسلمين).

إخواني وأخواتي في باكستان ألا ترون أن كلمات شيخ الهند مولانا محمود الحسن وتلميذه سيد حسين أحمد مدني رحمهما الله تصف تماماً سلوك أولئك الذين يعينون الأمريكان والبريطانيين اليوم في باكستان وأفغانستان.

ألا تلاحظون كيف أن الجيوش الهندية التي كانت تقتل المسلمين بالأمس بالأوامر البريطانية هي نفسها اليوم قوات برويز التي تقتل المسلمين اليوم في أفغانستان ومناطق قبائل باكستان بأوامر الأمريكان؟

ألا تمد قوات مشرف الصليبيين بالمعلومات والقواعد والمطارات وحتى بمراكز الاعتقال والتعذيب؟ ألا يمدونهم بالطعام والوقود ليقتلوا ويعتقلوا ويعذبوا ويهينوا المسلمين في باكستان وأفغانستان؟

ألم تلاحظوا أن سيد حسين أحمد مدني -رحمه الله- وهو يقتبس تصريحات الساسة البريطانيين السابقين عن حملتهم الصليبية ينقل تماماً عن بوش، حينما أعلن عن حملته الصليبية الجديدة ضد المسلمين؟

ألا تلاحظون أن مركز اعتقال مالطا، الذي سجن فيه شيخ الهند وسيد حسين أحمد مدني -رحمهما الله- صار معسكر جوانتانامو؟

أليس جلياً أننا نقاتل معركة جديدة في حرب قديمة. إنه نفس النضال ضد نفس الأعداء. الحقائق هي نفسها، ولكن تغيرت فقط الوجوه والأسماء. فنائب الملك في دلهي أصبح السفير الأمريكي في إسلام آباد، وجيش الهند البريطاني أصبح جيش باكستان الأمريكي، ورئيس الوزراء في لندن أصبح الرئيس في واشنطن، وسيد أحمد الشهيد وسيد إسماعيل الشهيد -رحمهما الله- ومجاهديهما هم اليوم المجاهدون المقاتلون في سبيل الله لطرد الصليبيين الجدد من أفغانستان وباكستان وسائر شبه القارة الهندية.

ولكن الفرق أن الصحوة الجهادية اليوم –بفضل الله- أشد قوة وأوسع انتشاراً، وليست مقصورة على شبه القارة. والإمبراطورية الصليبية الأمريكية تواجه -بفضل الله- هزائم مخزية في أفغانستان والعراق.

والآن بعد هذا الوصف المؤلم للأحوال المتدنية في باكستان يأتي السؤال الحاسم؛ ماذا نفعل؟

أولاً قبل أن أناقش إجابة هذا السؤال أود أن أذكر كل مسلم بإجماع علماء المسلمين؛ أنه إذا غزا عدو غير مسلم بلداً مسلماً، فإنه يصير فرض عين على كل مسلم أن ينهض ويقاوم الغزاة بكل الوسائل الممكنة، ويمتد هذا الفرض للبلاد الإسلامية الأخرى الأقرب للأبعد، حتى تتمكن الأمة المسلمة من طرد الغزاة خارج ديارها. وكانت هذه هي بالضبط نفس الفتوى التي أصدرها علماء باكستان أثناء الغزو الروسي لأفغانستان، فما الفرق؟ ذهب الروس، ولكن جاء الأمريكان لباكستان وأفغانستان!

والآن نعود لإجابة السؤال الحاسم؛ ماذا نفعل؟

دعوني أضع الإجابة في نقاط موجزة مباشرة:

1- شكلوا وعياً.

علينا أولاً أن نعي الطبيعة الحقيقية للصراع. إننا نواجه حملة صهيو صليبية مدعومة من حكامنا الفاسدين وينفذها كلاب صيدهم. ثم هذا الوعي لا بد أن ينتشر لكل الأمة. ولو أن هذه هي مسؤولية كل مسلم في باكستان إلا أنها الواجب الآكد على العلماء في باكستان. عليهم أن يبينوا حقائق القرآن ليحرضوا المسلمين على مقاومة الصليبيين وعملائهم. ولا بد أن يحييوا السيرة المجيدة لأسلافهم شاه عبد العزيز وسيد أحمد الشهيد وشاه إسماعيل الشهيد وشاه عبد الحي وشيخ الهند رحمهم الله أجمعين.

2- لا تقتل أو تساعد على قتل المسلمين، ولا تعن ولا تدعم قتلة المسلمين. على كل جندي أو ضابط أن يعصى مطلقاً أي أمر بقتل المسلمين أو إعانة قاتليهم. وأنا أيضاً أدعو كل من اقترف أياً من هذه الآثام أن يبادر بالتوبة، وأن يتوقف عن خدمة شياطين عصرنا.

3- الحق بالمجاهدين وادعمهم. إنها الفريضة العينية على كل مسلم في باكستان أن يجاهد الصليبيين الغزاة لأفغانستان وباكستان، وإن كان عاجزاً عن ذلك، فعليه -على الأقل- أن يدعم ويعين المجاهدين.

4- راجع نفسك. هل أنت حقاً تتبع وتلتزم بالإسلام شخصياً واجتماعياً وسياسياً؟ أم أنك تنحرف عن الإسلام بطريقة أو بأخرى؟ هل أنت حقاً توالي الإسلام؟ أم أنك تؤيد القوى الموالية للغرب العلمانية المعادية للإسلام، المتعاونة مع أمريكا في حملتها الصليبية ضد الإسلام، التي يسمونها الحرب على الإرهاب؟

إني أعلم أنه من بينكم أولئك الذين ضحوا بوظائفهم لما قرر برويز أن يدعم أمريكا في حربها ضد الإمارة الإسلامية في كابل في أكتوبر 2001، وأن من بينكم هؤلاء الذين رفضوا أن يقتلوا إخوانهم في وزيرستان، مما كلفهم وظائفهم.

ولكن هل أنت حقاً مستعد للتضحية بكل شيء في سبيل الله؟ أم أنك تضيع وقتك وجهدك في الاستعراضات المملة للسيرك السياسي الباكستاني؟

لا يجب أن يخالجكم أدنى شك أن أن القوى السياسية السائدة في باكستان اليوم تتنافس لمداهنة وإرضاء الصليبيين المعاصرين في البيت الأبيض، وتعمل لزعزعة استقرار هذه الأمة القادرة نووياً طبقاً لرغبات أمريكا.

ولذا لا تسمحوا باختطاف ثمار النصر -الذي تحقق عبر تضحيات المجاهدين في أفغانستان والعراق والشريط القبلي في باكستان- بواسطة السياسيين، الذين بقوا ساكتين حينما كان بنات وصبيان جامعة حفصة والمسجد الأحمر يقتلون ويحرقون.

إنهم نفس السياسيين الذين يتبعون أهواء النظام الديمقراطي والقضائي الغربي المنحرف، ويستغلون الإسلام لتحقيق أطماعهم الشخصية.

ولذا فإني أناشد هنا كل من لديه بقية من عقل أو ضمير في القوات المسلحة الباكستانية؛ اعلم أن هناك العديد بين المسلمين، الذين لا زالوا يتمسكون ببصيص أمل؛ أن من بينكم بعض من لديه فهم وخوف من الله، من الذين يرفضون أن يلطخوا أيديهم بدماء المسلمين، والذين لا يرضون عن الوجهة التي تساق إليها باكستان، والذين على استعداد لأن يبادروا لكي يضمنوا أن مقاليد السلطة في باكستان لن تبقى في أيدي برويز وأنصاره في الجيش، ولا في أيدي طغمة السياسيين الحاليين. ولكن سيتسلمها القادة المؤمنين بتطبيق شريعة الله سبحانه وتعالى، والذين يعتقدون في التقنين والقضاء طبقاً لشريعة المولى سبحانه وتعالى. والذين ينبذون النظام الديمقراطي والقضائي الغربي، والذين يرفضون العبودية للصليبيين واليهود والذي يؤمنون بقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

وقوله:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾.

ويجب أن أحذركم أنكم إذا نكصتم عن القيام بواجبكم بحق الإسلام، فإن الله سبحانه وتعالى مستغن عن كل أحد، وأنه سبحانه وتعالى سيأتي بجنوده المخلصين ليحكموا هذه الأمة الإسلامية، رضيتم أم أبيتم.

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقد تسألون أنفسكم: "وماذا قد يحدث لباكستان إذا ساندت المجاهدين، وواجهت أمريكا؟."

ولكن تأكدوا أنكم لو وقفتم في وجه الطاغوت، فإن الله سبحانه وتعالى سيمنحكم القوة للتغلب على قوة الطاغوت الأكبر أمريكا، أو أنه هو بنفسه -سبحانه وتعالى- سيكبتها.

يقول الله -سبحانه وتعالى- لنبيه صلى الله عليه وسلم:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾.

ولا داعي أن أذكركم إخواني وأخواتي بخسائر ومعاناة وإصابات الصليبيين المعاصرين في أفغانستان والعراق على أيدي المجاهدين المتوكلين على الله وحده، الذين يعتمدون على الله فقط، ويرفضون حيل سياسيي باكستان المنافقة الخانعة، وسوء التقدير الجبان الجشع للطغمة العسكرية الباكستانية.

لن تتحقق أية حرية أو عدالة أو كرامة أو استقلال دون التطبيق الكامل والحق للشريعة وطرد الصليبيين الجدد وعملائهم ونفوذهم من باكستان وأفغانستان. وإلا فلن نحصل إلا الفتات الذي يحصل عليه المسجونون من سجانهم.

وهنا أود أن أضيف بضع كلمات لأبطال باكستان المعروفين منهم والمجهولين، أولئك الذين ضحوا -ولا زالوا يضحون- بحياتهم وأملاكهم وثروتهم وبيوتهم ومناصبهم ووظائفهم، وكل ما يستطيعون أن يضحوا به لنصر وعزة الإسلام. أود أن أؤكد لأولئك الأبطال؛ أن تضحياتهم لن تنسى أبداً أو تهمل، وأود أن أذكرهم بما قاله المولى -عز وجل- لنبييه موسى وهارون عليهما السلام، لما أخبرا ربهما أنهما خائفان من إفراط فرعون وطغيانه، ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾. فطمأنهم المولى أنهم لا يجب أن يخافا، لأنه معهما يسمع ويرى، ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

ولذا فعلى أولئك الإخوة أن يكونوا على ثقة تامة، أنهم في كل لحظة من المعاناة مرت بهم فإن المولى -سبحانه- كان معهم يسمع ويرى، كان معهم -سبحانه وتعالى- في كل لحظة من الإنهاك والخوف والإجهاد والتعذيب والحرمان والألم والإصابة والهجرة يسمع ويرى، ويحصي لهم الحسنات. ولذا عليهم أن يتأكدوا أنهم -بفضل الله- يربحون ولا يخسرون، وأنه بمعاناتهم وتضحياتهم يتقدمون إلى نصر الإسلام في باكستان، ويتتبعون خطى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وأتباعهم رضوان الله عليهم .

وختاماً فإني أطلب من كل مسلم في باكستان أن يسأل نفسه بجد؛ هل يريد باكستان أن تصبح حقاً باكستان؟ أم سيبقى سلبياً مهمِلاً حتى تصير جزءً من هندوستان الكبرى؟

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِ العالمين، وصلى اللهُ علي سيدنا محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلَم. والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.